ملحمة عمر

مكيدة من هرقل

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

ملحمة عمر - ١٠

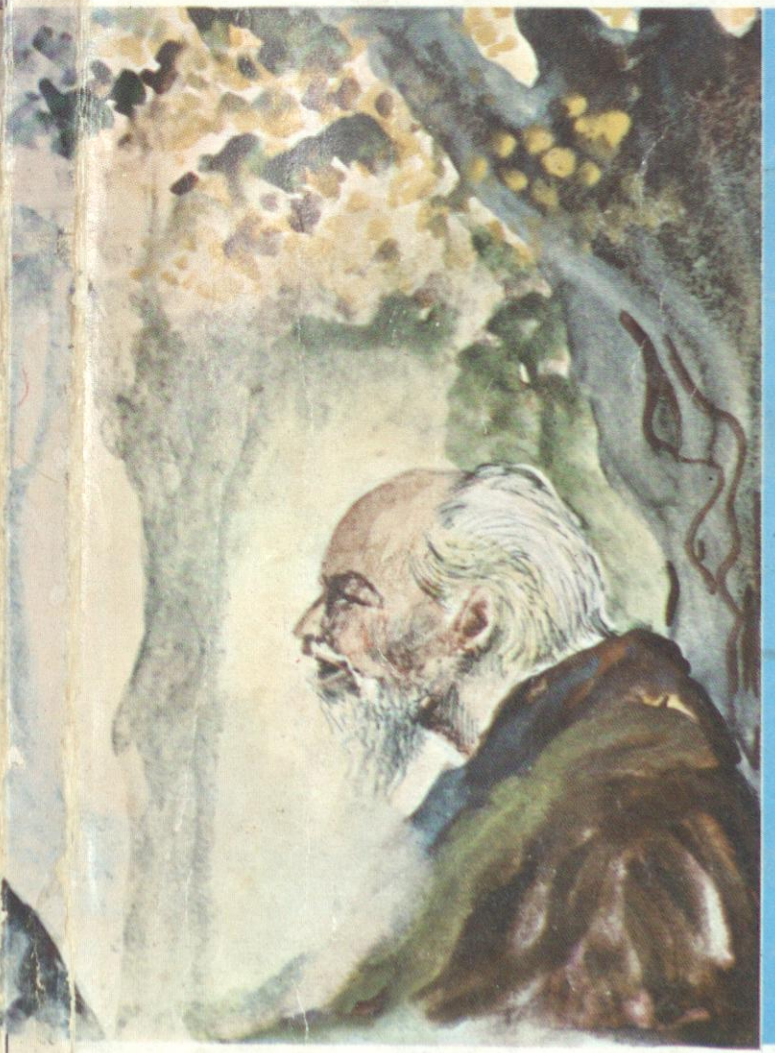

ملحمة عمر

١ - على أسوار دمشق
٢ - معركة الجسر
٣ - كسرى وقيصر
٤ - أبطال اليرموك
٥ - تراب من أرض فارس
٦ - رستم
٧ - أبطال القادسية
٨ - مقاليد بيت المقدس
٩ - صلاة في الايوان
١٠ - مكيدة من هرقل
١١ - عمرو وخالد
١٢ - سر المقوقس
١٣ - عام الرمادة
١٤ - حديث الهرمزان
١٥ - شطا وارمانوسة
١٦ - الولاة والرعية
١٧ - القوي الأمين
١٨ - غروب الشمس

الناشر: دار البيان. ص.ب ٢٠١٧ - الكويت

٣٥٠ فلس كويتي

ملحمة عمر

مَكيدَة مِنْ هِرقل

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقيا: تربن
الكويت

الطبعة الأولى

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الأول

القصر الكبير بالقسطنطينية

بَهْوٌ كبير يتصل برَواق لا يظهر في المسرح ترى الامبراطورة مارتينة وهي تتحدث الى جَبلَة بن الأيْهَم في ركن من البهو .

مارتينة : انها تُحِبكَ يا جَبلَة وهذا يكفيكَ .

جبلة : كلا يا مولاتي القيصَرَة .. كل فتاةٍ تستطيعُ ان تُظهرَ مثل هذا الحبِّ لَمنْ تشاء اذا شاءَتْ .

مارتينة : كأنكَ ترتابُ في صدقِ حبهَا لكَ ؟

جبلة : لستُ أعني ذلك ، ولكني أريدُ أن أستوثِقَ من صدقِ القيصرِ فيما وعدني به.

مارتينة : ما كان ليشجّعَك على مُغازلتِها والتحبُّبِ اليها لو لمْ يكنْ صادقَ النيّةِ في ذلك ..

جبلة : انكم يا معشرَ الروم لستُم مثلَنا معشرَ العرب في هذا الصَّدَد .

مارتينة : أتعْني أيها العربي اننا لا نحافِظُ على أعراض بناتِنا ؟

جبلة : مَعاذَ اللهِ ، ولكنكم تتساهلونَ قليلاً فيما نتشدَّدُ فيه.

مارتينة : ايها الأميرُ يجب ان تعلمَ ان هذا زواجٌ سياسيٌّ ، وأن غرضَ القيصر من ذلك ان يضْمنَ لابنته الوحيدةِ عرشاً في الشام تجْلسُ عليه الى جانبِكَ .

جبلة : أعلمُ ذلك يا مولاتي القيْصَرة .

مارتينة : فعَلامَ تتشكّكُ وتَتردَّد ؟

جبلة : لم لا يعْفيني من ذلكَ الشرْطِ الثقيل ؟

مارتينة : طلاقُ امرأتِكَ العربيةِ ؟

جبلة : نَعم .

مارتينة : مستحيلٌ ان يزوّجَ ابنتَه لك ما بقِيَتْ هذه المرأةُ في عصْمَتكَ ..

جبلة : انها أمُّ ابنتي الوحيدةِ .

مارتينة : تذكر ايُّها الأميرُ أن القيصرَ لا يقدمُ اليك أبيفانيا وحدَها ، بل يقدّمُ اليك أبيفانيا وملْكَ الشام خالصاً لك ولذُرّيتكَ .

جبلة : ثِقي يا مولاتي القيصرَة ان سُعدَى امرأتي لن تُسامِيَ ابنةَ القيصر في مقامِها أبداً ولن تنازعَها عرشَ الشامِ.

مارتينة : اذن فلن تُضارَّ كثيراً اذا طلّقتَها.

جبلة : بلَى يا مولاتي القيصرَة . انها تحبُّني واخشى إن طلّقتُها ان تموتَ كمَداً .

مارتينة : لو كانت تحبُّك حقاً وتحبُّ لك الخيرَ لأمرتكَ هي أن تطلقَها حتى يكونَ لك مُلكُ الشام .

جبلة : وأين منا ملكُ الشام اليومَ ؟

مارتينة : ان كنتَ ضعيفَ الثقةِ في استِرْدَاد الشام من أيْدِي المسلمين فامْسِكْ عليك امرأتَك العربيةَ ، ولا تُطْمع نفسَك في مصاهرةِ قيصرِ الروم .

(تدخل أبيفانيا ابنة هرقل)

ابيفانيا : معذرةً .. هل لديكُما حديثٌ خاصٌ ؟

مارتينة : عنك يا ابيفانا يا قرةَ العَيْن ..

ابيفانيا : عنّي انا ؟

مارتينة : عنكِ وعنهُ .

ابيفانيا : لا تُتْعِبي نفسَك يا خالةَ .. انه لا يُريدُ أن يُخلِيَ لي قلبَه ..

جبلة : بلى يا مُنْيةَ النفس يا حياةَ الروحِ ان

قلبي لكِ وحدَكِ !

ابيفانيا : والتي سكَنتْه قبلي ؟

جبلة : لم يبْق لها اليومَ محلٌ فيه .

مارتينة : كلا يا ابيفانيا .. لا تُصدّقِيه ..

جبلة : اقسمُ بسحرِ عينيْكِ !.

ابيفانيا : دعني من سحر لسانِك !.

جبلة : انظري اذن الى عَيْنَيَّ .

ابيفانيا : انهما أيضاً ساحرتان ..

جبلة : لكنهما لا تكْذِبان !

ابيفانيا : السحَرَةُ دائماً يكذِبُون .

جبلة : انتِ اذن اكبرُ كاذبةٍ في الوجود ..

مارتينة : على رِسْلِكما .. لا ينبغي ان تتغازَلا امامي ، والّا تركْتُكما وانصرفْتُ .

ابيفانيا : بل تَبقين يا خالة ..

جبلة : لِتباركي قلباً الى قلبٍ يَحِنُّ !

مارتينة : (بلهجة جادة) جَبلة .. لا تُحاولْ ان تخدَع ابنةَ القيصرِ فهي ابنَتي .

جبلة : وهل الحبُّ يا مولاتي القيصرة خِداعٌ ؟

مارتينة : لو كنتَ تحبّها حقاً ما عزَّ عليك في سَبيلِها شيءٌ .

ابيفانيا : أَجلْ لقد صدَقتْ خالتي القيصرةُ .

جبلة : صدِّقيني يا حبيبتي ان قلْبي لكِ وحدَك .

ابيفانيا : فطلِّقْ سُعدَى اذن ان كنتَ تعني ما تقولُ .

جبلة : لو كان بقاؤُها في عِصْمَتي يَشْغَلُني عنك لطلَّقتُها .

ابيفانيا : يا حبيبي ألا تَرَى اني أحبُّكَ ؟

جبلة : بلى .

ابيفانيا : فهل تَرْضى ان يكونَ لكَ فِيَّ شريكٌ ؟

(ينظر جبلة اليها في وجوم)

مارتينة : صَهْ .. هذا القيصرُ قد أقبلَ !

(يدخل هِرَقل باديَ الكآبة ، فتخِفُّ مارتينة اليه وتأخذُ بيده حتى تُجلسَه على كرسيِّه بينما يحْني جَبَلةُ وابيفانيا رأَسَيْهِما تحيةً له) .

(ينظر هرقل الى ابيفانيا وجبلَة مليّاً دون أن يقولَ شيئاً) .

ابيفانيا : كيف انت يامولاي القيصر ؟

هرقل : (كالذاهِلِ عما حوله) بخير يا بنيَّتي الحبيبةَ .

مارتينة : قد وافَقَ جَبَلةُ يا مولاي على ما طلبْتَ منه .

هرقل : (في شرود) حقّاً ؟

مارتينة : نريد يا مولاي ان ننتهِيَ من هذا الامرِ حتى نتوجّهَ بكلِّ قلوبنا لحمْلَةِ استِرْداد الشام .

هرقل : (يلتفت الى جبلة) هلْ لكَ يا جَبَلة ان تأتِيَني باثنيْن من هؤلاءِ الأسرى العرب يكونانِ اقْرَبَهم قَرابةً الى ملكِهم عُمرَ .

جبلة : حُباً وكرامة يا مولاي القيصر .

هرقل : افهَمْ قولي .. اختَرْ اقربَهم جميعاً الى عمرَ .

جبلة : سافعلُ .. اني أعرفُ أنسابَهم جميعاً (يخرج) .

(يخرجُ) جبلة وتخرجُ ابيفانيا خلفَه كأنها تريدُ أن تشيّعَه ويُتبعهما هرقلُ بصرَه دُون أن يقولَ شيئاً) .

مارتينة : يحبُّها وتحبُّه يا مولاي ..

هرقل : (يتنهد في أسىً) آه .

مارتينة : ما خَطْبُك يا حبيبي ؟ أما زِلْتَ حزيناً من أنباءِ أمس ؟

هرقل : أوليْسَت أنباءً فادحةً ؟

مارتينة : أنت اكبرُ من ذلك يا حبيبي القيْصَر فينبغِي أن تتجلَّدَ .

هرقل : كيف أتجلدُ يا مارتينة كيف ؟

مارتينة : كدأْبك فيما مَضَى .. لقد كُنْتَ دائماً جلْداً صبُوراً .

هرقل : فيما مَضَى كنت ارْمي فما يُخطِىءُ لي سهمٌ فأصبحتُ اليوم ارْمي وما مِن سَهْم واحد يصيبُ .. يا إلهي أفي يومٍ واحدٍ أتلقَّى نبأَ هزيمَتَيْن ؟

مارتينة : لا تُغَالِ يا حبيبي .. إنما هي هزيمةٌ واحدة ..

هرقل : بل هزيمَتان : في تكْريتَ وجلُولاءَ .

مارتينة : وما شأْنك بجَلُولاء؟ تلك هزيمةُ الفُرس.

هرقل : نحن والفُرسُ اليومَ شيءٌ واحد . . لقد تعاهدْنا ان نوجِّه الى العدو ضربَتَنا في وقتٍ واحد . . فاذا هُو يُزِلُّهم في

جلُولاء ثم يُوقِع بنـــا في تكْـريت والموصل .. عشَـرَةُ آلافٍ من خِـــيرة جنودِنا هلكُوا في تكريت لم يفْلِتْ منهم احدٌ !.

مارتينة : هوِّنْ عليك .. انك ما جَزِعْتَ مثـــلَ هذا الجزعِ على قتْـلَى اليَرْموك وهـــم أضعافُ هذا العددِ .

هرقل : (يصيح في توجع) اليَرْموك ! . اليرموك اليرموك !، صيحَةُ اللهِ المدوِّية !.

مارتينة : صيحة الله المدوية ؟

هرقل : البُرْهانُ الذي لا يكذِبُ !

مارتينة : برهانٌ ؟ برهان على مَاذَا ؟

هرقل : انت يا مارتينة أجدَرُ الناس ان تعرفي ذلك ..

مارتينه : ماذا تَعْني يا مولاي ؟

هرقل : الخَطِيئَةُ يا مارتينة !

مارتينة : أي خَطيئة ؟

هرقل : اني لأغْبِطُكِ على ما أنت فيه من رَاحةِ الضميرِ .

مارتينة : لستُ افهمُ ما تَقْصِدُ ..

هرقل : وعلى ما عندك من القُدْرةِ على التجاهُل .

مارتينة : مولاي ان كنْتَ لا تريدُ ان توضِّحَ لي ما بِبالك فاضرِبْ صفحاً عنه ، وخُضْ بنا في حديثٍ غيرِه .

هرقل : كلُّ حديثٍ غيره يا مارتينة هيِّنٌ يسيرٌ .. انه وحدَه الذي يأكلُ في القلبِ كما يأكلُ الدودُ في قلبِ التفاحَةِ !

مارتينة : عدْتَ يا حبيبي الى أوْهَامِكَ ؟.

هرقل : كانَ في وُسْعكِ ان تقولي : عدت يا خالي الى اوْهَامِك !.

مارتينة : كلا كلا .. انت حَبيبي .. أنت زوجي .. أنت والِدُ اولادِي .

هرقل : ألا تَرَيْنَ كيف سلَّطَ اللهُ علينا هؤلاءِ العربِ ؟

مارتينة : كما سلطَ علينا جنودَ كسرى من قبلُ .. اطرُدْ من رأسِكَ هذه الأوهامَ . ان اللهَ اكبرُ من ان يَهْتم بما بين رُجلٍ وامرأته. كلُّ هذا من صفرونيوس وأمثال صفرونيوس .

هرقل : ان النذرَ يا مارتينه لَتؤيّد ما يقولُه صفرونيوس .

مارتينة : أي نُذرٍ ؟

هرقل : هذه الهزائمُ المتلاحقةُ .

مارتينة : أتعتقدُ يا حبيبي انني كنتُ سببها ؟ أتعتقدُ أني شُؤْمٌ عليك ؟

هرقل : لا يا مارتينه ولكن .

مارتينة : ولكن ماذا ؟

هرقل : يا ليتكِ لم تكوني بنتَ اختي!.

مارتينة : إن أمّي ليستْ أختاً لك يا هرَقل .

هرقل : مَنْ قالَ لكِ ذلك ؟

مارتينة : أنْتَ !

هرقل : أنا ؟

مارتينة : ألا تذكُرُ يا هرقل حينَما أردْت أن تتزوَّجني فاعْتَرَضتُ على ذلك فقلت لي انها ليست أختاً شرعيةً لك؟

هرقل : لكنها اختي على كل حال . . شرعيَّة أو غير شرْعية .

مارتينة : فعلامَ تزوْجتَني اذن ؟

هرقل : أكنْتِ تُريدين أن يكونَ أبناؤُك مني غيرَ شرْعيين ؟

مارتينة : ما كان ينبغي أن تعرفَني البتةَ !

هرقل : أحببتُكِ يا مارتينة حباً ملَكَ عليَّ كلَّ شيء وأنْساني كلَّ شيء .

مارتينة : وأنا أيضاً أحببتُك كما احببْتني، ولكني لم أندمْ على حبك كما ندِمْتَ أنت على حُبي .

هرقل : من قالَ لكِ انني ندمْتُ على حبكِ ؟

مارتينة : هذا واضحٌ من كلامِكَ .. ألا تعتبرُ حبي خطيئةً ، وتريد أن تكفرَ عنها وتتُوبَ ؟

هرقل : ابداً ابداً يا مارتينة .. أنت حياتي .. كيف أتوبُ من حياتي ؟

مارتينة : لئلّا يذهبَ ملكُك .

هرقل : كلا لن أتخلّى عنكِ أبداً ولو ذَهبَ مُلكي ..

مارتينة : أحقاً يا هرقلُ ؟

هرقل : حقاً يا حياتي ويا حبيبةَ قلبي..بيْدَ أني أشتهي لو يْهدأُ ضميري كما كان .

مارتينة : ان شئتَ ان يهدأ ضميرُك فانسَ كل شيء

إلا أنني حبيبتُك وزوجتُك وأمُّ أولادك .

هرقل : لكن كيف أنْسَى يا حبيبتي هذه الهزائمَ المتلاحقةَ ؟

مارتينة : ان الذين ينْسِبونها الى غَضَبِ اللهِ عليك لكاذِبُون .

هرقل : يا ليتني أُؤمن بما تقُولين .

مارتينة : وما الذي يمنعُك من الإيمانِ بذلك ؟

هرقل : رجالُ الدين يا مارتينة وما يقولون .

مارتينة : ليسُوا سَوَاءً .. فالصالِحون منهم يرْبَأُون بأنفسِهم عن الخوْضِ في مثل هذا الحديث وإنما يَلْغَطُ به ذَوُو الظنون السيِّئةِ ، وذَوُو النياتِ السيئةِ .

الحاجب : (يدخل) البِطْريقُ سرجيوس يا مولاي القيْصر ..

هرقل : دعْه يدخلْ ..

(يدخل سرجيوس) .

مارتينة : مرحباً بِكَ يا سرجيوس .. لقد جِئْتَ في وقت الحاجةِ إليكَ .

سرجيوس : انا يا مولاي في خِدمَةِ القيصر وفي خدْمَتِك .

مارتينة : ان مولاي القيصرَ عاوَدَتْه الأوهامُ في شأنِ زواجهِ مني يا سيدي البِطْريق .

سرجيوس : من مَزاعِم صفرونيوس ..؟

مارتينة : نعم .

سرجيوس : مولاي القيصَر .. ألسْتَ قد عرفْتَ مولاتي القيصرة قبل أن تنتصرَ على فارِسَ ؟

هرقل : بلى .

سرجيوس : فكيف نصَرَكَ اللهُ ذلك النصرَ المُؤزَّر على جيوشِ كسْرى لو كان اللهُ ساخطاً عليك ؟

هرقل : ربما كان يستَدْرُجني يومئذ فانه يُمْهِل ولكنه لا يُهْمل .

سرجيوس : مولاي خذْها مني كلمةً أُسال عنها غداً أمامَ اللهِ .لو كان عندك من الذُّنوب عدَدُ أوراقِ الشجر في الأرض كلِّها منذُ وُجِدَتْ لغفَرَها الله لك بما أنقذْتَ الصليبَ المقدسَ من أيْدي أعدائه .

هرقل : إذن فلا بدَّ أن يكونَ هؤلاء المسلمُون مُؤَيَّدِين بقُوَّة خَفِية من عند الله فلا يغلبُهم غالبٌ أبداً .

سرجيوس : مولاي القيصرُ لا ينبغِي ان تشكَّ بعد يَقين .

هرقل : فكيف نعللُ هزائمَنا إذن ؟

سرجيوس : نحن الرومَ مذنبون في ذاتِ المسيح .. فالولاةُ يظلمون الرعيةَ وينهبُون أموالَها بغيرِ حقّ ، ويَعِيثون في الأرض فساداً .

ورعايا الدولةِ من النصارَى يَرَوْنَك تسعى لتوحيدِهم ، وجمعِهم على مذْهبٍ واحد في المسيحيَّةِ ، فيأبَوْن الا العِنادَ والاستكبارَ ... والبِطْريقُ صفرونيوس يكتبُ الى عُمَر فيسلِّمَه بيْتَ المقدسِ عفواً صفْواً .

هرقل : (في ألم) في نفسِ اليوْم الذي احتفلنا فيه بتسْليمِ الصليبِ الأعظمِ الى القدِّيسة صوفيا .

سرجيوس . فلا غرو أن يعذِّبنا اللهُ ويسلطَ علينا هؤلاء الغُزَاةَ من الصحْراء كما سلَّطَ علينا جَحافلَ الفُرس من قبل .

هرقل : لكنا انتصرْنا على الفُرس ولم ننتَصِرْ على هؤلاء العربِ .

سرجيوس : تذكَّرْ يا مولاي القيصر انك لم تنتصِر على فارسَ الا آخرَ الأمر بعدما بلغَتْ

جنودُها مَشارِفَ هذه العاصمةَ .. ان اللهَ يعذِّبنا بذنوبِنا ، ويمْلُونا بالمَثُلات ولكنه لا يهلكنا كرامةً للسيِّدِ المسيح .

مارتينة : اذن فان اللهَ سينصرُنا في النهايَة على هؤلاء العرب ؟

سرجيوس : ما في ذلك رَيْبٌ .. ان نحْن آمنَّا بالمسيح حق ايمانِه ، وأيقَنَّا بأن اللهَ معنا .

هرقل : هَيهات يا سرجيوس .. لقد اسْتَوْلَوْا منا على سورية وفِلسْطِين ومن الفُرس على ما بينَ النهرَين ، ثم وَثَبوا على عاصمتِهم وتوغَّلُوا في أرضِ فارسَ .

سرجيوس : لا يَهُولَنَّك ذَلك يا مولاي القيصر .. فان اللهَ اقْوى من كل قَوِيّ ..

هرقل : اني لا أشكُّ في ذلك ، ولكني أخْشى يا سرجيوس ان يكونَ الله معهم علينا .

سرجيوس : مَعاذَ اللهِ يا مولاي ..

هرقل : لقد بلَغَني عنْ أميرِهم عمرَ هذا وعنِ الذي قبلَه وعن زَعيمِهم محمدٍ أنهم أشبَهُ بالأنبياءِ منهم بالمُلوك .. فأخوف ما أخافُه يا سرجيوس أن يكونَ موقفنا من محمد وأتباعِه كموقفِ هيرودَ من السيد المسيحِ وأتباعه ، وموْقفِ الكفّارِ في القديمِ من شُهداءِ المسيحيةِ الأوّلينَ .

سرجيوس : كلا يا مولاي القيصر .. ليْسوا كذلك .. انَّهم انما اتَّبعوا محمداً هذا مِنْ أجل الدُّنيا إذ فَتح لهم أبواب الدنيا فولَجُوها .. ولو مسَّ أحَدَهم أيُّ أذىً في دينه لكفرَ بدينه . فأينَ هؤلاءِ من المسيحيِّين الأولين الذين احتَملُوا صنوفَ العذابِ صابرين ولم يَنْكِلوا عن دينهم ؟

هرقل : وما يُدريكَ يا سرجيوس ان لا يصبرَ هؤلاء كما صبرَ أولئكَ ؟ هل اختبَرْتَ

أحداً منهم او امتحنتَه ؟

سرجيوس : لا يا مولاي القيصر ..
(يدخل جَبَلَةُ بن الأيهم)

هرقل : جئتَ بالأسيرَيْن يا جبلة ؟

جبلة : نعمْ يا مولاي القيصر ..

هرقل : من قَرابَةِ عمرَ ؟

جبلة : نعم من قُرَيْشٍ .. من القبيلَةِ التي منْها محمدٌ وعمرُ ..

هرقل : (لسرجيوس) كان في نِيَّتي اذ أرسلتُ في طلبِ هذَيْن الاسيرَيْن ان اسمعَ منهما مَزيداً عن عمرَ ولكني الآن سأختَبرُهما لنرى مبلغَ ثباتِهما على دينهما الجديدِ .

سرجيوس : حسناً تصنعُ يا مولاي القيصر ..

هرقل : دَعْهُمْ يُدخلوهُما يا جبلة .
(يخرج جبلةُ ثم يعودُ بالأسيرَيْن

هرقل : لقد بلَغَني عن أميرهم عمرَ هذا وعن الذي قبلَه وعن زَعيمِهم محمدٍ أنهم أشبَهُ بالأنبياءِ منهم بالمُلوك .. فأخوف ما أخافُه يا سرجيوس أن يكونَ موقفنا من محمد وأتباعه كموقفِ هيرودَ من السيد المسيحِ وأتباعه ، وموقفِ الكفّارِ في القديمِ من شُهداءِ المسيحيةِ الأوّلينَ .

سرجيوس : كلا يا مولاي القيصر .. ليسوا كذلك .. انّهم انما اتّبعوا محمداً هذا مِنْ أجل الدُّنيا إذ فتح لهم أبواب الدنيا فولَجُوها .. ولو مسَّ أحدَهم أيُّ أذىً في دينه لكفرَ بدينه . فاينَ هؤلاءِ من المسيحيّين الأولين الذين احتَملُوا صنوفَ العذابِ صابرين ولم يَنكِلوا عن دينهم ؟

هرقل : وما يُدريكَ يا سرجيوس ان لا يصبرَ هؤلاء كما صبرَ أولئكَ ؟ هل اختبَرْتَ

أحداً منهم او امتحنتَه ؟

سرجيوس : لا يا مولاي القيصر ..

(يدخل جَبلَةُ بن الأيهم)

هرقل : جئتَ بالأسيرَيْن يا جبلة ؟

جبلة : نعمْ يا مولاي القيصر ..

هرقل : من قَرابَةِ عمرَ ؟

جبلة : نعم من قُريْشٍ .. من القبيلَةِ التي منها محمدٌ وعمرُ ..

هرقل : (لسرجيوس) كان في نِيَّتي اذ أرسلتُ في طلبِ هذَيْن الاسيرَيْن ان اسمعَ منهما مَزيداً عن عمرَ ولكني الآن سأختَبرُهما لنرى مبلغَ ثباتِهما على دينهما الجديدِ .

سرجيوس : حسناً تصنعُ يا مولاي القيصر ..

هرقل : دَعْهُمْ يُدخلوهُما يا جبلة .

(يخرج جبلةُ ثم يعودُ بالأسيرَيْن

يسوقُهما اثنان من الجندِ وفي أيديهِما القيدُ) .

(تدخل ابيفانيا ومن خلفِها وصائفُ القصر فيقِفْنَ وراء الملكةمارتينةوكذلك وصفاءُ القصر لينظروا ماذا يحدثُ)

جبلة : ويْلَكُما ألا تركعان للقيصر ؟

الأسيران : نحن لا نركَعُ لغير اللهِ .

هرقل : دعْهُما يا جَبَلة . . أيُّكُما اقربُ الى عُمرَ ؟

ابن حذافة : انا يا قيصرُ .. ماذا تُريدُ ؟

هرقل : اطْلِقُوا عنه القَيْدَ .

ابن حذافة : مُرْهم يُطلِقُوا عن صاحبي أيضاً .

هرقل : وأطلِقُوا عن صاحِبه .

(يطلقون عنهما القيد) .

ابن حذافه : الآن انْصَفْتَ يا قيصرُ وعدَلْتَ .

هرقل : أتدْرِي يا هذا لماذا بعثْتُ اليكَ ؟

ابن حذافه : لا واللهِ .

هرقل : لِكَيْ أعرضَ عليكَ منصِباً كبيراً عندي واشْرِكَكَ في شؤُون مُلكي .

ابن حذافه : أليْسَ في قَوْمِكَ مَن يصلُحُ لذلك المنصِب ؟

هرقل : بلَى ولكنّي اريدُ تكْرِمَتَك ..

ابن حذافه : أطلِقْ سَراحِي اذن لأعودَ الى بلَدِي .

هرقل : اريدُ أن تبقى هُنا عِنْدي .

ابن حذافه : ماذا تصنَعُ بي .. أليْسَ يُغْنيكَ عنِّي جَبَلَةُ ؟

هرقل : اريد أن أزوِّجك ابيفانيا ابنتي .

(تبتسم ابيفانيا ويعبس جبلة)

ابن حُذافة : ألم تجِدُوا في بني عُمومَتِها من يرضى أن يتزوَّجها فانتظرتُموني حتَّى وقعْتُ أسيراً في ايديكم لتلْقُوها عليَّ ؟

هرقل : (تعجبه روح الدعابة فيه) انّي اخترتُك أنت لَها .

ابن حذافة : أهي جميلةٌ مثلي ؟

هرقل : (مبتسماً) بل هي أجملُ منكَ .

ابن حذافه : أصغرُ مني سناً أم أكبرُ ؟

هرقل : أصغرُ .

ابن حذافة : لا بأسَ إذن .. وكم تطلُبُ مِنّي مَهْراً لهَا ؟

هرقل : لا أطلُبُ منك شيئاً .

ابن حذافة : كلا لا أتزوَّجُها الا بَمهْر .

هرقل : مهرُها أن تَتنصَّرَ أنت ..

ابن حذافة : كما تنصَّرَ جبلة بن الأيْهَم ؟

هرقل : نَعَم .

ابن حذاقة : لِمَ لا تُزوِّجها له فقد دَفعَ هو المهرَ ؟

هرقل : لكنا نريدُك أنت .

ابن حذافه : هذا مهرٌ يسيرٌ .. حذارِ ان تكون مَعيبةً .

هرقل : كلا ليْسَت مَعيبَة .

ابن حذافة : اقسِمْ بالانْجيل .

هرقل : قسَماً بالانجيل ليْسَت ابيفانيا معيبة .

ابن حذافة : اذن فقد قبلْتُ .

هرقل : (فرحاً) قبلتَ ؟

ابن حذافة : نعم على شَرْط .

هرقل : ما هُو ؟

ابن حذافة : أن أحمِلَها معي الى المدينةِ .

هرقل : كأنك ترفضُ تكْرَمتي ؟

ابن حذافة : (في لهجة جادة) يا قيصرُ لو أعطيْتَني جميعَ ما تملكُ ما رَجعْتُ عن دين محمدٍ طرْفَة عين .

هرقل : اشهَدُوا يا قومُ .. لقد عرْضتُ عليه الكرامةَ والمالَ والجمالَ فرفضَ فليْسَ

هرقل : (تعجبه روح الدعابة فيه) انّي اخترتُك أنت لَها .

ابن حذافة : أهي جميلةٌ مثْلي ؟

هرقل : (مبتسماً) بل هي أجملُ منكَ .

ابن حذافه : أصغرُ مني سناً أم أكبرُ ؟

هرقل : أصغرُ .

ابن حذافة : لا بأسَ إذن .. وكم تطلُبُ مِنّي مَهْراً لهَا ؟

هرقل : لا أطلُبُ منك شيئاً .

ابن حذافة : كلا لا أتزوّجها الا بمَهْر .

هرقل : مهرُها أن تَتنصَّرَ أنت ..

ابن حذافة : كما تنصَّرَ جبلة بن الأيْهَم ؟

هرقل : نَعَم .

ابن حذافة : لِمَ لا تُزوِّجها له فقد دفعَ هو المهرَ ؟

هرقل : لكنا نريدُك أنت .

ابن حذافه : هذا مهرٌ يسيرٌ .. حذارِ ان تكون مَعيبةً .

هرقل : كلا ليْسَت مَعيبَة .

ابن حذافة : اقسِمْ بالأنْجيل .

هرقل : قسَماً بالانجيل ليْسَت ابيفانيا معيبة .

ابن حذافة : اذن فقد قبلْتُ .

هرقل : (فرحاً) قبلتَ ؟

ابن حذافة : نعم على شَرْط .

هرقل : ما هُو ؟

ابن حذافة : أن أحمِلَها معي الى المدينةِ .

هرقل : كأنك ترفضُ تكْرَمتي ؟

ابن حذافة : (في لهجة جادة) يا قيصرُ لو أعطيْتَني جميعَ ما تملكُ ما رَجعْتُ عن دين محمدٍ طرْفَة عين .

هرقل : اشهَدُوا يا قومُ .. لقد عرْضتُ عليه الكرامةَ والمالَ والجمالَ فرفضَ فليْسَ

له عندي غيرُ العقوبةِ والعذابِ .

ابن حذافة : كلُّ هذا لكَيْ اتنصَّرُ ؟

هرقل : نعم .

ابن حذافة : الدينُ عندكم بالاكْراه ؟

هرقل : عليَّ بالرُّماةِ .

ابن حذافة : علامَ السَّرَفُ ؟ رَامٍ واحدٍ يكفي لقتْلِي .

(يدخل ثلاثة رُماة من الباب الذي خلفَ هرقل فيقِفون أمامَه)

هرقل : اصْلُبُوا هذا الرجلَ على ذلك العَمُودِ..

(يُساق ابنُ حذافة حتى يخرُجوا به من القاعَةِ الى الرِّوَاقِ) .

هرقل : (لأحد الرماة) أطِرْ قَلَنْسُوَته ولاتَزد.

الرامي : سمعاً يا مولاي (يصوب ناحية الرواق ثم يُرسلُ السَّهم) .

أصوات : (ترتفع) طارَتْ قَلَنسوته .. طارَتْ قلنسوته .

هرقل : (للرَّامي الثاني) أصِبْ اذَنَه اليمنى دُونَ أن تُدْمِيَها .

الرامي : سمعاً يامولاي .. (يُصوِّبُ ثم يرسِلُ السهمَ حيثُ يرتفعُ الضجيجُ)

هرقل : للرَّامي الثالث) أصب أُذُنَه اليسرَى بحيث تُدْمِيها قليلاً .

الرامي : سمعاً يامولاي (يصوبُ ثم يطلق ويرتفع الضجيج) .

هرقل : أنزِلُوهُ من الصَّليب وائتوني به .

(يظهرُ ابنُ حذافة دامِيةً شحمةُ اذنِه اليُسرى) .

ابن حذافة : ماذَا تريدُ مني بعدُ يا قيصرُ ؟

هرقل : ماذا كنتَ تصنعُ لو وقعَ السهمُ في حَلْقِك؟

ابن حذافة : كنتُ أموتُ شهيداً .

له عندي غيرُ العقوبةِ والعذاب .

ابن حذافة : كلُّ هذا لكَيْ اتنصَّرُ ؟

هرقل : نعم .

ابن حذافة : الدينُ عندكم بالاكْراه ؟

هرقل : عليَّ بالرُّماةِ .

ابن حذافة : علامَ السَّرَفُ ؟ رَامٍ واحدٍ يكفي لقتْلِي .

(يدخل ثلاثة رُماة من الباب الذي خلفَ هرقل فيقِفون أمامَه)

هرقل : اصْلُبُوا هذا الرجلَ على ذلك العَمُودِ..

(يُساق ابنُ حذافة حتى يخرُجوا به من القاعَةِ الى الرِّوَاقِ) .

هرقل : (لأحد الرماة) أطِرْ قَلَنْسُوَته ولاتَزد.

الرامي : سمعاً يا مولاي (يصوب ناحية الرواق ثم يُرسلُ السَّهم) .

أصوات : (ترتفع) طارَتْ قَلَنسوته .. طارَتْ قلنسوته .

هرقل : (للرَّامي الثاني) أصِبْ اذَنَه اليمنى دُونَ أن تُدْمِيَها .

الرامي : سمعاً يامولاي .. (يُصوِّبُ ثم يرسِلُ السهمَ حيثُ يرتفعُ الضجيجُ)

هرقل : للرَّامي الثالث) أصب أُذُنَه اليسرَى بحيثُ تدْمِيها قليلاً .

الرامي : سمعاً يامولاي (يصوبُ ثم يطلق ويرتفع الضجيج) .

هرقل : انْزِلُوهُ من الصَّليب وائتوني به .

(يظهرُ ابنُ حذافة دامِيةً شحمةُ اذنِه اليُسرى) .

ابن حذافة : ماذَا تريدُ مني بعدُ يا قيصرُ ؟

هرقل : ماذا كنتَ تصنعُ لو وقعَ السهمُ في حَلْقِك؟

ابن حذافة : كنتُ أموتُ شهيداً .

هرقل : ان كفرْتَ بدينِكَ وتنصَّرْتَ أطلقنا سَراحَك والا أرْيناكَ لَونا آخرَ من العذابِ .

ابن حذافة : أذِقْني إيَّاه لعله ان يكونَ ألذَّ وأمْتَعَ .

هرقل : أعدُّوا له قِدْراً يغلي بالماء .

ابن حذافة : أتريدُ أن ترمِيني فِيها ؟

هرقل : نعم .

ابن حذافة : لِتطهوَ لحمي فتأكله يا قيصرُ ؟

هرقل : بل ليتهرَّأَ لحمك وتبدوَ عظامُك فنرمِيها للكلاب .. خذوه .

(يبغون سوقه) انتظروا .. سوقوا صاحبه هذا وألقوه في القدر الاَّ إن اعلن خروجه من دينهِ ودخوله في ديننا .

الرجل : كذَّبتك نفسك يا هرقل .. لا اخرُج من ديني ولا أدخلُ في دينكَ .

هرقل : ألقوه في القدر .

(يساق الرجل وهو صامت) .

ابن حذافة : ويحكُم لماذا لا تُلقُوني انا في القدر مكانَه؟

هرقل : لَترى انتَ ما يكونُ من أمرهِ ثم نرميك في القدر بعده .

(تسمع صيحة مفزعة حين وضعوا الرجل في القدر) .

(يُراعُ ابن حذافة ويَطْفرُ الدمع من عينيه) .

مارتينة : انه جَزِعَ وبكَى يا مولاي فاعرض عليه الأمرَ من جديد .

هرقل : تعالَ ادْنُ مني يا عربي .

ابن حذافة : (يدنو من هرقل) ماذا تريدُ مني بعد ؟

هرقل : أراكَ جزِعاً على صاحبك اذ رأيتَه في القدر .

ابن حذافة : أعليه أجْزَعُ وقد ماتَ شهيداً ؟

هرقل : جَزِعْت اذن على نفسك فبكيتَ ؟

ابن حذافة : أجل .. بكيتُ لأن لي نفْساً واحدة تُلقى فتذْهبُ .. لوَدِدت لو كان لي مائةُ نفس تلقى هكذا في سبيل الله .

هرقل : تَتَنصرُ أم يُلقى بك في القدر ؟

ابن حذافة : يُلقى بي في القدر ..

(يسوقونه فيخرج) .

هرقل : (يومىء للجلاد بيده) انتظِرْ .. لا تُلقهْ.

سرجيوس : لِمَ يا مولاي القيصر ؟

هرقل : لقد أثبتَ لنا صبرَهُ وثباتَه فلنَمْتحنَّه بعذاب آخر ..

جبلة : دعهم يا مولاي القيصر يجلدُوه فالعرب تكرهُ الجلدَ .

هرقل : اجل .. اجلُدوه بالسياط .

(يدنو جبلة من ابيفانيا حتى يقف بجانبها)

ابن حذافة : امْهِلُوني قليلاً لأُشدَّ ثوبي على جسمي .

هرقل : لِمَ تفعلُ ذلك ؟

ابن حذافة : لِئَلاَّ تنكشفَ عَوْرَتي .

هرقل : عَرُّوه اذن من ثيابهِ .

ابن حذافة : حنانَك يا قيصر .. لا ينْبغِي أن تأمرَ بذلك .

هرقل : تكفرُ بدينِك ؟

ابن حذافة : لا .

هرقل : عَرُّوه واجْلِدوُه ..

(يتململ جَبَلَةُ خجَلاً ويحاولُ ان يخرجَ بأبيفانيا من المجلِس ولكنها تدفعُ يدهَ وهي تضَحكُ وتأبى الخروجَ)

ابن حذافة : مُرْ هؤلاء النسوةَ فليخْرُجن .

هرقل : كلا بلْ سيَبْقَيْن .

ابن حذافة : اني أُشْفِقُ عليكُم ان تغمِضُوا اعينَكم.

هرقل : كلا لن تغمض عينانا ..

ابن حذافة : فلأغمض عيني فلا أراكم عندي .. أي دين هذا ؟ حاشا ان يكون هذا دين المسيح عيسى بن مريم ..

(تسمع الضربات بالسياط وصوت ابن حذافة وهو يردد : أحد أحد .

هرقل : (يتمتم) الشعب المختون .. الذي تقول النبوءة أنه سيدمر الامبراطورية . لقد ظننت انهم اليهود فاذا هم العرب (يصيح بالجلادين) حسبكم .. اكسوه ثيابه واسكتوني به .

(يساق ابن حذافة وهو يترنح من ألم الجلد) .

هرقل : هل لك الآن ان تتصبر ؟

ابن حذافة : الآن ازددت ايمانا .. الآن ارجو على اولئك الشهداء الأبرار من اتباع عيسى

ابن مريم اذ عذبوا في دينهم ألوانا من العذاب ، فمنهم من كشط جلده ، ومنهم من وضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ومنهم من ألقي في اخدود من النار كنصارى نجران .

هرقل : عجبا من أين عرفتم ذلك ؟

ابن حذافة : ببعضه اخبرنا نبينا ، وبعضه ورد في القرآن كتابنا .

هرقل : أسمعنا ماذا يقول كتابكم في ذلك .

ابن حذافة : (يتلو بصوت شجي) بسم الله الرحمن الرحيم. والسماء ذات البروج .. واليوم الموعود .. وشاهد ومشهود .. قتل أصحاب الأخدود .. النار ذات الوقود .. اذ هم عليها قعود .. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود .. وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد .. الذي له

هرقل : كلا لن نغمِضَ اعينَنا ..

ابن حذافة : فلأُغمِضْ عيني فلا أراكُم عندي .. أي دينٍ هذا ؟ حاشا انيكونَ هذا دينُ المسيحَ عيسى بن مريم ..

(تسمع الضرَباتُ بالسِّياط وصوتُ ابن حُذَافة وهو يردِّدُ : أَحدٌ أَحد .

هرقل : (يتمتم) الشعْبُ المَخْتون .. الذي تقولُ النُّبُوءَةُ أنه سيُدَمِّرُ الامبراطورية . لقد ظنَنْتُ انهم اليَهودُ فاذا هُم العربُ (يصيح بالجلادين) حَسْبُكم .. اكسُوه ثيابَه وائتُوني به .

(يساق ابن حُذَافة وهو يترنَّحُ من ألم الجلْد) .

هرقل : هل لك الآن ان تتنصَّرَ ؟

ابن حذافة : الآن ازدَدْتُ ايماناً .. الآن اترحَّمُ على اولئكَ الشهداءِ الأبرارِ من اتباعِ عيسى

ابن مريَم اذ عُذِّبوا في دِينهم ألواناً من العذاب ، فمنهُم من كُشِطَ جلدُه ، ومنهم من وُضِعَ المنْشارُ في مَفْرَق رأسِه حتى وقع شِقَّاه ومنهم من أُلْقِيَ في اخْدُودٍ من النار كنصارى نَجْران .

هرقل : عجباً من أين عَرَفتم ذلك ؟

ابن حذافة : ببعضه اخبَرَنا نبينا ، وبعضُه وَرَد في القُرْآن كتابِنا .

هرقل : أسْمِعْنا ماذا يقولُ كتابُكم في ذلك .

ابن حذافة : (يتلو بصوت شجي) بسم الله الرحمن الرحيم. والسَّماءِ ذاتِ البُرُوجِ .. واليومِ الموعود .. وشاهدٍ ومشهُودٍ .. قُتِلَ أصحابُ الأخْدودِ .. النارِ ذاتِ الوقودِ .. اذ هُم عليها قعودٌ .. وهم على ما يفْعَلون بالمُؤْمنين شهُودٌ .. وما نَقَموا منهم الا ان يُؤْمنوا بالله العزيز الحميد .. الذي لهُ

ملكُ السمواتِ والأرضِ والله عـلى كل شيء شهيدٌ .. إن الذين فَتَنُوا المؤمنينَ والمؤمناتِ ثم لم يَتُوبُوا فلهم عذابُ جَهَنَّم ولهم عَذابُ الحريق ..

هرقل : (يصيح كالمرعوب) سرجيوس .. سرجيوس .

سرجيوس : لبيْك يا مولاي القيصر .

هرقل : سمِعْتَ يا سرجيوس ؟

سرجيوس : نعم يا مولاي القيصر .

هرقل : ابْعِدوا هذا الرُجلَ .. نَحُّوه عني ..

صوت : (لأحد الجنود) نَقْتلُه يا مولاي القيصر؟

هرقل : (يصيح) كلا اياكم ان تقتُلُوه..لأقتلَنَّ مَنْ يقتلُه !

جبلة : نعيدُه الى سجْنِه يا مولاي القيصر ؟

هرقل : نعم .. نَحُّوهُ من هنا .

(يسوقون ابنَ حذافَةَ حتى يخرُجوا به)

(يشعرُ هرقل بضِيق تنفُّسٍ ويكاد يُغشَى عليه فيسندُه سرجيوس وتنهض مارتينة مسرعةً فتحضر قنّينَة دَواءٍ فتسقيه منه)

مارتينة : لا بأْسَ عليك يا مولاي ..

هرقل : اين سرجيوس ؟

سرجيوس : نعَمْ يا مولاي ..

هرقل : لا أريدُ ان أكونَ مثلَ هيرُودَ !

(ترْتاعُ ابيفانيا فتضَعُ يدَها في يد جَبلة)

المشهد الثاني

غرفة في الطابقِ العُلْويّ من القصر الكبيرِ تطلُّ شرفاتُها على حديقة القصر الغنّاءِ .

يُرفَعُ الستارُ فترى ابيفانيا وجَبَلَة متّكِئَيْن على أريكةٍ واحدة وهما يتناجَيان في شَغَفٍ وهُيام وكأنهما لا يَزالان في شهرِ العَسَلِ .

ابيفانيا : اسمَعْ يا حبيبي .. أما آن لنا أن نَنْزلَ الى البَهْوِ لنَرَى الرسولَ العربيّ الذي بعثَهُ صاحبُك عمَرُ .

جبلة : يا قرةَ عيْني ماذا نصنَعُ به ؟ دَعِينا هنا وحْدَنا نَتَناجَى في سلامٍ .

ابيفانيا : لكنَّ أبي القيصرَ سيَفْتَقِدُنا يا جبلَة ، ورُبَّما احتاجَ اليك . ينبغِي أن ننزلَ .

جبلة : بعدَ قليلٍ يا ابيفانيا الحبيبةُ . بعد قليلٍ .

ابيفانيا : يا حبيبي العزيزَ لا أُريدُ أن يغضَبَ مني ..

جبلة : أبُوك القيصرُ يحبكِ ولا يغضَبُ منكِ أبداً .

ابيفانيا : هذا لو كانَ وحْدَه ولم تكنِ الأفعى معَه .

جبلة : صَه .. لا حقَّ لكِ أن تسمّيَها الأفعى . انها أيضاً لتحبُّك .

ابيفانيا : تحبُّني ؟ يا لكَ من غِرٍّ !

جبلة : انها ذاتُ فضْلٍ علينا كبيرٍ ..

ابيفانيا : أي فضْلٍ ؟

جبلة : لولا مَساعِيَها الحميدةُ لَما رضيَ القيصرُ أن يزوِّجني منكِ .

ابيفانيا : أتدْري ماهدفُها من تلْكَ المساعي الحميدةِ؟ أن تبعدَني عنها الى بلدٍ آخرَ حتى تصنَعَ هي ما تشاءُ دونَ رقيبٍ ولا حَسيبٍ ؟

جبلة : ماذا تقولين يا أبيفانيا ؟

ابيفانيا : لا تَتَجاهلْ يا جَبلة فانَّك تعرفُ ما أُريدُ .

جبلة : لا واللهِ يا حَبيبتي لا أعرفُ ماذا تقصُدين؟

ابيفانيا : آه لولا خوفي على أبي القيصرِ من هَوْل الصدْمَة لأخبَرتُه .

جبلة : بأيِّ شيءٍ ؟

ابيفانيا : بأنَّها تخُونُه .

جبلة : مَعاذَ اللهِ يا ابيفانيا .

ابيفانيا : ما كَفاها أنها كانتْ شُؤْماً عليه وعلى

مُلكِه ، ورِجساً عاقَبَهُ اللهُ عليه بهؤلاءِ المسلمين حتى ارادتْ أن تخونَه مع رجلٍ منْهم .

جبلة : مِنَ المسلمين ؟

ابيفانيا : نَعَم .

جبلة : مَنْ يكونُ ؟

ابيفانيا : ذاك الأسيرُ ابن حذافةَ قريبُ عمرَ .

جبلة : يا حَبيبتي لكنَّ ابْنَ حذافَةَ هذا في الحبْسِ .

ابيفانيا : ألاَ تذكُرُ يا جبلة اذ كانَتْ تُحضِرُه كل يومٍ الى القصرِ لِتُسَلِّطَ جَواريها ووَصائفَها عليه ؟

جبلة : كان أبوك القيصرُ هو الذي كلَّفَها بذلك ليعْرفَ مَدَى صبْرِه على الفتنةِ والإغْراءِ بعدَ ما صبَرَ على ألوانِ العذابِ .

ابيفانيا : بل كانتْ هي التي اقترَحتْ ذلك على القيصرِ .

جبلة : لا جُناحَ عليها في ذَلك .

ابيفانيا : وإن كانَتْ هي التي تُراوِدُه عن نفسه ؟ نفسه ؟

جبلة : مَعاذ اللهِ .

ابيفانيا : كانَتْ تدخُلُ له في زيٍّ وَصِيفَةٍ فترتَمي عليه .

جبلة : مَعاذَ الله .. مَن الذي رَوَى لك هذا البُهْتانَ ؟

ابيفانيا : أنا رأيْتُ هذا البُهْتانَ بعينيَّ هاتَيْن ..

جبلة : (بعد صمت يسير) لكنّي سمعْتُ القيصرَ يقولُ انه استَعْصَمَ ولم يَزِلّْ .

ابيفانيا : أَجَلْ استَعْصمَ ولم يَزِلْ .. ولكن ما شأنُنا بابن حذافةَ انما يعنينا امرُها هي لا أمرُ ابن حُذافةَ .

جبلة : يا حبيبتي رُبَّما رأتْه استَعْصَمَ من الوصائِفِ والجَواري فأرادَتْ أن تجرّبَ فتنتَها هي عليه .. دون أن تقصِدَ أيَّ سُوءٍ .

ابيفانيا : كلا بل كانَتْ تُريدُه .. كانت تشْتَهيه .. لقد رأيتُ ذلك في عينيها وشفتَيْها .

جبلة : وكانت هي تَراكِ ؟

ابيفانيا : لا ..انها كتَمَتْ عني ذلك .. ولكنَّ جارِيَةً منهن اخبرتْني فتطلَّعْتُ عليها من خلفِ الستائرِ ..

جبلة : لا تبْتَئِسي ايتُها الحبيبةُ .. عمَّا قليلٍ تستقبلُكِ أرضُ الشام وتنصبُ لك عرشاً على نَهْر بَرَدَى في غُوطَةِ دمشْقَ وعرشاً على مَصَبِّ نهرِ العاصي في انْطاكية ، وعرشاً على جِبال لبْنان بين السُّحُب !!

(يقبلها) .

ابيفانيا : ولكنَّ شطْراً من قلبي سيظَلُّ بعدُ معلَّقاً بالقُسْطَنطينيةِ يا جبلة .

جبلة : لا بأسَ ان تزُوري اباك كلَّما اشتقْتِ اليه .. وسوف يزورُك هو أوَّلاً بالشام اذْ لا بُدَّ انه سيحُجُّ الى ايلياء ويُعْلِي الصليبَ الأعظمَ مرةً ثانية ..

ابيفانيا : ليس أمرُ ابي هو الذي شغَلَني يا جبلة ، بل أمرُ شقيقي قُسْطَنطين . اني اخشى عليه من الأفعى .

جبلة : إذا جرَى لأبيكِ شيءٌ ؟

ابيفانيا : بل حتى قبلَ ذلك .. انها تُلِحُّ عليه ان يُشرك ابنَها هرقليون مع قسطنطينَ في ولايةِ العهدِ ..

جبلة : لا تخافي فان القيصرَ يحب قسطنطين ولا يعْدِلُ به أحداً .

ابيفانيا : انك لا تعرفُ مدَى سلطانِها عليه ،

جبلة : ومجْلسُ الشيوخِ أيضاً يميلُ الى قسطنطين وكذلك الجماهيرُ .

ابيفانيا : ماذا يصنَعُ مجلسُ الشيوخِ أو الجماهيرُ اذا قرَّر القيصرُ ان ينفِّذَ ما تريدُه امرأتُه ؟

جبلة : يا أميرتي الجميلةَ لِمَ تحمِّلين نفسَك فوقَ ما تُطيقين ؟ ان المستقبلَ بيدِ الله لا بيد مارتينة ولا غيرها .

ابيفانيا : هل تعِدُني يا جبلة ان تجعَلَ تأييدك لقسطنطين اذا لَزِمَ الأمرُ ؟

جبلة : نعم نعم لأقاتِلَنَّ في سبيله .

ابيفانيا : شكْراً يا حبيبي لا عَدِمْتُك (تقبله) هيا بنا الآن ننزلُ الى البهْو .

جبلة : (ينظر جهة الشرفة) انظري .. هاهُم أُولاء يصعَدُون الدَرَجَ .

ابيفانيا : مَنْ ؟

جبلة : القيصرُ ومَنْ معه .

ابيفانيا : (تنظر من الشرفة) عَجيبٌ .. لا بُد ان لهذا الرسولِ مكانةً كبيرةً عنده .
(تصلح ما تَشَعَّثَ من الأريكة حيثُ كانا يجلسان وتقِفُ هي وجبلة في احترام
(يدخل هرقل ومارتينة ثم جَثّامَة بن مساحِق وسرجيوس) .

هرقل : (ينظر الى ابنته في تدليلٍ) انتما هنا أيها العَرُوسان ؟ هذا خيرٌ .. ينبغي أن تشهدا مجلسَنا هذا مع رسُولِ امير العرب
(للرسول) هذه الأميرةُ ابيفانيا ابنتي .. وهذا زوْجها الأميرُ جَبلة بن الأيْهَم
لعلك تعرفه ..

جثامة : نعم أيُّها الملكُ ..

هرقل : اجلسُوا ..

(يجلس هرقل ومارتينة على الاريكة ويجلسُ الآخرُون على الكراسي التي حولَها) .

سرجيوس : (لجثامة) ان مولاي القيصرَ قد أرادَ أن يزيدَ في أكرامِكَ فانتقلَ بك الى هذه العلِّيَّة التي لا يستقبلُ فيها الا الخواصَّ فاذكرْ ذلك لأميركم عمرَ حين ترجعُ اليه.

جثامة : سأفعلُ أيها السيدُ البِطْريقُ .. سأذكُر لأميرِ المؤْمنين كلَّما استقبلَني به القيْصر من مودَّةٍ وحفاوَةٍ ..

هرقل : إنك لتُحْسِن اللسان الروميَّ فأين تعلمْتَه ؟

جثامة : في قِيسارِيَّة حيثُ أقمتُ بُرْهةً في الجاهليَّةِ ..

هرقل : في الجاهليةِ ؟

جثامة : قبلَ الاسْلامِ ..

هرقل : لذلك اختارَكَ عمرُ رسولاً الينا ؟

جثامة : نعم .

هرقل : أكنتَ نصرانياً قبلَ ان تُسلِمَ ؟

جثامة : لا يا قيصرُ كنتُ مشركاً على دينِ قومي .. وحاولَ بعضُ القُسُسِ في قِساريّة تنصيري فلم ينجَحْ .. غيرَ أنّه زعزعَ ايماني بدين قومي فلما جاءَ الإسلامُ اطمأنّتْ نفسي اليه فأسلَمْتُ .

هرقل : أيَّ شيء وجدْتَ في الاسلام لم تجِدْهُ في النصرانية .

جثامة : قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولمْ يكُنْ له كُفُواً أحدٌ ..

هرقل : هل لَقِيتَ محمداً .

جثامة : نعم ..

هرقل : صِفْهُ لي .

جثامة : كانَ أحسَنَ الناسِ خُلُقاً وخَلْقاً .. مَنْ رآه احبَّه .. جميلاً في غيرِ زَهْوٍ .. قويّاً دُون جَبَرُوت، حَليماً لا يغضَبُ الا في الحقِّ ، صوّاماً لله، قوّاماً بالصلاةِ، بَرّاً باليتامى والايامى مُحبّاً للفقراءِ والمساكينِ ، يقولُ في دُعائه : اللهم احيِني مِسْكيناً وأمتْني مسكيناً واحشُرْني في زُمْرةِ المساكين .

(يصمت هرقل مَلِياً ويصمت جميعُ مَن معه)

هرقل : خبِّرْني هلْ يجُوزُ عندَكم ان يتزوَّجَ المرءُ ابنَةَ اخيه ؟

(يستولي الدَهشُ على الحاضرين)

جثامة : لا يَحِلُّ له ذلك لأنَّ ابنَةَ اخيه من مَحارِمه ..

هرقل : وابنة الأختِ ؟

جثامة : ابنَةُ الاخْتِ مثلُ ابنةِ الأخ .

هرقل : لكنَّ المجُوسَ يبيحون ذلك ..

جثامة : ما لَنا وللمجُوسِ ؟ هؤلاءِ يُبيحُون حتى الأَخوَات والأُمَّهات)

(يتغيَّرُ وجهُ هرقل ويعْتَريه الوجُوم)

مارتينة : (متجلّدة) مولاي القيصر انك لم تَسْأَلْني عن الهدِيَّةِ التي جاءتني من امرأةِ عُمَرَ ..

هرقل : (يجد مخْرَجاً من هذا الحرج) أرِينِيها يا مارتينة .

مارتينة : (تقدمُها اليه) خذْ يا مولاي .

هرقل : قَارُورَةُ عِطْرٍ .. (يلتفت الى جَثامة وهو يشم القارورة) اي نَوْعٍ من العطْر هذا ؟

جثامة : هذا عِطْرٌ قَوامُه العُود والمِسْك والعَنْبر ..

هرقل : عندنا ما هُو خيرٌ منه (يناول القارورة لأبيفانيا) .

جثامة : الهدَيَّة للوُدِّ يا قيصر لا للرِّفْدِ ..

هرقل : وما هذه ؟

جثامة : أسْفاطٌ مصْنوعةٌ من خُوصِ النَّخْل تضع المرْأةُ فيها اقْراطَها وقلائِدَها وما اشبَه .

سرجيوس : هل تَنْوي مولاتي القيْصَرة ان تحْفَظَ حُلِيَّها في هذِهِ الاسْفاطِ ؟

(يتضاحكون)

مارتينة : بل سأحْفَظُ هذه الأسفاطَ في مَخْدَعي خيْرُ تَذْكارٍ من ملكة المسلمين ..

جثامة : ليْسَ للمسلمين مَلِكٌ ولا ملكةٌ ..

مارتينة : من أميرةِ المسلمين ..

جثامة : وليس لهُم اميرةٌ .

مارتينة : أليسَت هي زوجةُ عمرَ وعمرُ اميرُكم ؟

جثامة : بلَى ..

مارتينة : فهي اميرَتُكم ..

جثامة : كلا لا ندْعوها كذلك .. انما هي امرأةٌ من المسلمين ..

مارتينة : قد كان يَنْبغي لعمرَ ان يتزوَّجَ امرأةً من بيتٍ عريقٍ شريفٍ ..

جثامة : هذه من أعرَقِ البيُوتاتِ وأشرَفِها .. هذه من بيتِ النُّبوةِ ..

مارتينة : ابنَةُ محمدٍ ؟.

جثامة : ابنةُ فاطِمةَ بنتِ محمد .

مارتينة : فكيْف تستكثِرُون عليْها ان تدْعوها اميرَةً ؟

جثامة : ما جعلَ الاسلامُ لها حقّاً دُونَ نساءِ المسلمِين ..

مارتينة : ابنةُ نبيِّكم وزوجةُ أميركم !

جثامة : فهيَ ابنةُ نبينَا وزوجةُ اميرنا فَحسب ..

هرقل : الناسُ في شَرْعكم سَواءٌ ؟

جثامة : أَجلْ لا فضْلَ لأحدٍ على احد الا بالتقوى والعملِ الصالحِ .

هرقل : (بصوت خافض) سمعْتَ يا سرجيوس ؟ هذا سِرُّ قُوَّتِهم ..

سرجيوس : (يتغير وجهه) اَجلْ لقد عَرفَ محمدٌ من اين تُؤكَلُ الكتَفِ ..

هرقل : أتَرَاه كان يقصِدُ ذلك ؟

سرجيوس : ما في ذلك ريْبٌ .. لقد كان قائداً مُلْهماً ذا سياسةٍ ودَهاءٍ ..

جثامة : كلا يا ايُّها البِطْريقُ ليس محمدٌ كما ذكرْتَ .. انما كان نبيّاً ارسَلَهُ اللهُ بالهُدى ودينِ الحق الى الناسِ كافَّةً ،

ليخرجهم من الظلماتِ الى النور ، وليضع عنهم إصرَهم والاغلال التي كانتْ عليهم ، فبلّغَ الرسالةَ على وجهها ، وأدّى الامانةَ الى أهلها وخرجَ من الدُّنيا لم يشبَعْ هو وآله من خبْز الشَّعيرِ يوماً قطّ .

سرجيوس : هل بَعَثَكَ عُمَرُ لتجادِلَنا في الدين ؟

جثامة : لا بلْ بَعَثَني لاحمِلَ كتابَه الى قيصرَ .

سرجيوس : فقِفْ اذن عندَ مُهِمَّتِكَ .

جثامة : لكني لا أستطيعُ ان اسمعَك تتحدَّثُ عن نبيّنا بغيرِ عِلْمٍ فأسْكُتْ .

سرجيوس : فلنعُدْ الى حديث الهدِيَّةِ ان شئْت فهل لي أن اسألَك ؟

جثامة : سلْ عما بدَا لكَ ..

سرجيوس : ألا تَرَى معنا ان هذه الهدِيَّة دُونَ ما ينْبغِي ان يُهْدَى الى امرأةِ قيصرَ ؟

جثامة : بلَى ولكنَّها قُصارَى ما تستطيعُ ان تُهْدِيَهُ امرأةُ عمرَ ..

سرجيوس : أتعني انها لا تملكُ أكثرَ من ذلكَ ؟

جثامة : بل لمْ يكُنْ عندها ثمَنُ الهديةِ فلجأتْ الى أخيها فاقْترَضه لها من بعضِ أصْحابه.

سرجيوس : مهْما يغْلُ ثمنُها عندكُم فلن يبلغَ خمسةَ دنانيرَ ..

جثامة : بل ثمنُها دينارٌ واحدٌ ..

سرجيوس : دينارٌ واحد ؟ امرأةُ عمرَ يُعْوِزُها دينارٌ واحدٌ ؟ فأين الأموالُ التي تُجْبى اليه من كلِّ مكانٍ ؟ اين الغنائمُ والكُنوز .

جثامة : انه يُوزِّعُها على المسلمين ويُنفِقُها علىَ مَصالِحِهم ، ولا يأخُذُ منها لنفْسِه غير ما يأخذُه رجلٌ من المسلمين ..

سرجيوس : ان هذا لشيءٌ عجيبٌ ..

هرقل : لا تعجَب يا سرجيوس فقد حدَّثنا جَبلةبن الأيهَم كثيراً عن زُهدِهِ وَوَرَعِه وتقشُّفِهِ ..

مارتينة : اذنْ فقدْ اهدَتْ إليَّ امرأةُ عمرَ اقصى ما في وُسعِها .

جثامة : هُوَ ذاكَ يا أيَّتُها الملكةُ ..

مارتينة : اذا عُدْتَ الى بلدِكَ فبلِّغْها اني ما فَرِحْتُ بهديةٍ قطّ مثل فَرَحي بهديتِها واني اعتَبِرُها اعظم هديةٍ جاءتني قطّ .

جثامة : سافعل أيَّتُها الملكةُ ..

مارتينة : وهذا الكتابُ الذي جِئْتَني بـه منها الا تُترجِمُه لي لأعرفَ معناه؟

جثامة : حباً وكرامةً .. (ياخذ منها الكتاب) من امِّ كُلْثوم امرأةِ عمرَ اميرِ المؤمنين الى ملكةِ الرُّومِ امرأة هرقلْ . سلامٌ عليك

يا أُختاهُ . وبعْد .. فهَلْ لي ان ادْعوَك الى خيرِ الدنيا والآخِرةِ .. أسْلِمي يا اُختاه فانكِ ان اسلَمْتِ اسلَمَ قيصرُ زوجُك فأسلَمَ معه رعيَّتُه فيكون لك اجرَ ألوفِ المهتدِين والمهتدِياتِ ..

مارتينة : هي ايضاً تدْعوني الى الاسْلامِ؟

جثامة : هو عندها اثمَنُ ما تُهديه اليْك ..

مارتينة : فأبْلِغْها اني قَبِلْتُ الهديةَ فاما الاسلامُ فاني على دِينٍ لا أستَبْدِلُ به ديناً آخرَ .

ابيفانيا : (لجبلة على حدة) يا للتَّقْوى والوَرَعِ !

جثامة : سأبْلغُها ذلك ان شاءَ اللهُ . (يلتفت الى هرقل) أيُّها الملكُ هل لكتابِ اميرِ المؤْمنين جوابٌ منكَ احمِلُه اليه ؟

هرقل : ستَنْزل ضيفاً عندي في القصْرِ رَيْثَما يُعَدُّ ذلك الجوابُ ...

(يلتفت الى حجابه) ايها الحجّاب انزلوه واكرموه .

جبلة : (تومىء له ابيفانيا ليتكلم) لو أذنَ مولاي القيصرُ فانزلتُ هذا الرسولَ العربيَّ عندي فاني اعرفُ ما يُعجبُه من طعامٍ وشرابٍ .

مارتينة : هذا يتكلمُ لساننا وليسَ ببدوي ..

هرقل : اين تُحبُّ ان تنزلَ ؟ هنا عندنا ام عندَ جبلةَ ؟

جثامة : انا ضيفُك ايها الملكُ فانزلني حيثُ تشاءُ ..

ابيفانيا : سينزلُ يا ابت عندنا .. عند عربيٍّ مثلِه .

هرقل : فانزلْ عند جبلة .. ستجدُ عنده قصراً اجملَ من هذا القصرِ .

جبلة : هلُمَّ يا اخا كنانةَ ..

جثامة : هلُمَّ يا أخا غسان .

(يخرج جثامة وجبلة ثم تتبعهما ابيفانيا)

هرقل : ماذا ترَى يا سرجيوس ؟ . هل سمعتَ بحاكم مثل هذا في حياتك قطّ ؟ الدنيا تُجبَى اليه وما في يدِ امرأته دينارٌ واحدٌ ؟

سرجيوس : ما يُدريكَ يا مولاي القيصر لعلَّ هذا الرسولَ قد قال غيرَ الحقِّ .

هرقل : عهدي بالملوكِ والحكام يتباهون بما عندهم وما ليسَ عندهم من الغِنى والجاهِ والقوّةِ .

سرجيوس : لعله أرادَ ان يَبْهَرَنا بما رَواه عن الهديّة .

هرقل : انك تعرفُ طبعَ النساءِ وميلَهُن الى التباهي والتفاخرِ ، فماذا كانَ يمنعُ امرأةَ عمرَ أن تبعثَ هديةً أثمنَ وأفخر لو كان في وُسعِها ذلك؟ كلا يا سرجيوس هؤلاءِ ليسُوا مثلَنا .. هؤلاء ربانيُّون

قد صُنِعَ لهم فهُمْ لا يُغلبون .. ومن الخيرِ لنا أن نُهادِنَهم حتى نحفظَ ما بَقي لنا من مُلكٍ ..

سرجيوس : والحملةُ التي اتفقنا عليها مع الأرْمن وعربِ الجزيرةِ في الشّامِ ؟

هرقل : الآن أيقنْتُ اننا لن نبُوءَ منها بغيرِ الهزيمةِ والخذْلان ..

سرجيوس : كلا يا مولاي القيصرُ لا ينبغي ان تكونَ أقلَّ ثِقةً بالنصرِ من هؤلاءِ الأرْمنِ ونصارَى العربِ ..

هرقل : ماذا صنَعَ لنا الارمن ونصارَى العرب في اليرْموكِ ؟

سرجيوس : الامر مختلِفٌ يا مولاي القيصر .. في اليرْموك كنا نحن الذين استَعنّا ببعضِ الارمن وعربِ الشام دون عرب الجزيرة.

أما في الحملةِ المزْمعةِ فالارْمنُ جميعاً ومعهم عربُ الشام والجزيرة هم الذين جاؤُونا مُتحالِفين لنعاونَهم على طَرْدِ المسلمين من سُورِيَّة وفِلسطين .

(يومىء الى مارتينة ان تؤيده في قوله)

مارتينة : أجلْ يا مولاي لا ينْبغي أن تنقُضَ امراً ابرْمتَه معهم ولا سِيَّما بعدما رَجعَتْ وفودُهم من عندكَ تحمِلُ اليهم بُشْرى الاتِّفاقِ معكَ ..

سرجيوس : هذه فرصةٌ لن يُتاحَ لنا مثلُها أبداً يا مولاي ..

هرقل : واذا انتهَتْ بنا الحملةُ الى هزيمةٍ جديدةٍ .

سرجيوس : ليْس لك يا مولاي ان تخلُدَ الى اليأسِ والقنُوطِ ..تذكَّرْ انك هزمْتَ الفرسَ

وحدكَ وكانُوا اقوى من هؤلاءِ المسلمين.

هرقل : كلا .. ما كانُوا اقْوى من المسلمين .

سرجيوس : كانُوا قد استَوْلَوا على الشام ومصرَ وزحفَتْ طلائعُهم حتى بلغَتْ مشارف القُسْطَنْطِينِيَّة .

هرقل : لكنَّهم ما كانوا اقْوى من هؤلاءِ المسلمين.

سرجيوس : ألا تذكرُ يا مولاي القيصَر يوم قالَ كسرَى لرسولِكَ الذي بَعَثْتَه اليه : قل لمولاكَ ان دَوْلَةَ الروم من ارْضي وما هُو الا عاصٍ ثائرٌ وعبدٌ آبقٌ ، ولن امنَحَه سلاماً حتى يترك عبادةَ الصليبَ ويعبُدَ الشَّمسَ ؟

هرقل : لكنَّ هؤلاءِ المسلمين لا يعبُدُون الشمْسَ يا سرجيوس وانما يعبُدون الله الذي خلق كلَّ شيء.. ولم يقولُوا ان دوْلةَ الروم من

أرضهم او دولةَ الفرْسِ وانما قالوا ان الارضَ للهِ يَرِثُها من عبادِه الصالحون .

مارتينة : وابيفانيا ابنتُك يا مولاي القيصر ؟

هرقل : ما بَالُها ؟

مارتينة : ألا تحبُّ ان يكونَ لها ولزوجها ملْكُ الشَّامِ ؟

سرجيوس : واذا صار مُلْكُ الشامِ لابنتِكَ فكأنه صارَ لك ..

هرقل : انِّي ما زوَّجْتُها لجبَلَة بن الأيْهَم الا من اجلِ ذلك .. (تغلِبُه الرِّقة وكأنه يُخاطِبُ نفسَه) .. يا وَيْح ابيفانيا المِسْكِينة . لقد زوَّجناها من قبل لملكِ الخزَرلتضْمَنَ لها عرشاً عنده فاذا هو يموتُ قبلَ ان نَزُفَّها اليه ..

مارتينة : لكنها اليومَ قد زُفَّتْ الى هذا الامير العربيِّ .. وانْتَهى الامرُ .

سرجيوس : فعَرْشُ الشامِ مضْمونٌ لها باذن السيد المسيحِ وباسْم الآب والابْن والرُّوح القُدُس .

هرقل : (يدْعو مبْتَهِلاً) يارب .. من اجْلِ الصَّليبِ الاعظَمِ وقبرِ السيد المسيح !.

مارتينة : (تدعو ايضاً مبتهلةً) ومن اجل ابيفانيا يارب !!

المشهد الثالث

في بيت عمر بالمدينة .

عاتكة : كلا لا حقَّ لامير المؤمنين ان يمنَعَكَ هدية جاءتْ باسمِك .. ارينيها يا امُّ كلثوم ..

ام كلثوم : (تناولها قارورة) ها هي ذي ..

عاتكة : عطرٌ ؟

ام كلثوم : بل لؤلُؤٌ .

عاتكة : في قارورةٍ ؟

ام كلثوم : القارورةُ التي ارسلتُ لهافيها العطر ردَّتها هي لي مملوءَةً باللؤلُؤ .

عاتكة : (تفرغ القارورة فيتساقط اللؤلؤ) لله ما اجمله .. وما هذا الذي بيدكِ ؟

ام كلثوم : هذا الخيطُ الذي يُسلَك فيه .. خيطٌ من حرير ..

عاتكة : هي التي بعثتْه ايضاً ؟

ام كلثوم : نعم ارسلتْه مع القارورة ..

عاتكة : انها والله لحكيمةٌ .. لا يصلح لهذا اللؤلؤ الا مثل هذا الخيطِ . دَعيني أنظِمْه لك.

ام كلثوم : كلا يا عاتكةُ .. ان اميرَ المؤمنين امرَني الّا اتصرّفَ في هذا اللؤلؤ بشيء .

عاتكة : سانظِمُه لكِ ثم أحلُّه في الحال ..

ام كلثوم : وما خيرُ ذلك ؟

عاتكة : اريدُ ان اراه عليكِ ثمّ عليّ ..

(تنظم عاتكة العِقدَ وام كلثوم تناولُها حبّاتِ اللؤلؤ)

عاتكة : اخوك حُسين هو الذي سلّمها لكِ ؟

ام كلثوم : نعم كيف عرفتِ ؟

عاتكة : منه .

ام كلثوم : مِنْ امير المؤمنين ؟

عاتكة : نعم .. لا بُدّ ان الرسولَ هابَ ان يسلّمَها لَهُ فسلّمها لأخيكِ حُسَين ..

ام كلثوم : ولأنّ حُسَيناً هُوَ الذي أعطاهُ هديّتي الى مَلِكَةِ الروم.

عاتكة : لو بَعثْتِ الى حسين او حسَن فكلّم لك اميرَ المؤمنين في شأنِه فان لأخويك مكاناً كبيراً عند عمَرَ ..

ام كلثوم : لا يا عاتكَةُ .. لا أحبُّ ان اثقِلَ على أحدٍ منهما في مثْلِ هذا الشأن ..

عاتكة : هذا العُقْدُ جديرٌ ألّا يُؤخَذ منك .. واحسْرَتاه ان أُخِذَ منك .

ام كلثوم : لوَدِدْت لو لم تأْتِني هذه الهديةُ البتّةَ .. اذن لَما تعلّقَ بها قلبي .

عاتكة : لكنها قدْ جاءَتْكِ وسُلِّمتْ اليكِ .. فكيفَ يُريدُ ان يَنْزَعها منكِ ؟

ام كلثوم : قالَ انَّه سيَضُمُّها الى بيتِ المالِ ..

عاتكة : أوَلا يشْبَعُ بيتُ المالِ هذا ابداً ؟ كلا لا تَسْكُتي له على ذلِكَ .

ام كلثوم : ماذا اصنع يا عاتكةُ ؟ انك تعرِفين صَرامَتهُ ..

عاتكة : اجل ولكنكِ عروسٌ شابَّة ، ولك دالَّةٌ عليه لقرابَتِكِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ام كلثوم : ويْحَكِ اماتعلمين انه يَراني أحْرى ان ازْهَدَ في زينة الدنيا لِمكانِ هذه القرابةِ ؟

عاتكة : لكن هذا حقُّكِ وقد احلَّهُ الله لكِ فبايِّ حقٍّ يمنعُكِ اياه؟ اياكِ يا اُختاه ان يَرى منكِ انك راضية بما صنَعَ .

ام كلثوم : لا واللهِ لقدْ جادَلْتُه وحاجَجْتُه .. فلما

لم ابلُغْ منه شيئاً غاضَبْته وصِرْتُ لا اكلمُه .

عاتكة : احسَنْتِ والله لَهذا خيرُ ما تُعاقِبينَه به .. ان من أشقّ الامورِ عليه الا تكلمَه امرأتُه (تكمل نظم العِقْد) انظري الآنَ ... ما أروَعه من عِقْدٍ .. اعطِني عُنقَكِ (تُلبسُها العقد)ما أحْلاه عليك يا امَّ كُلثوم .. وما احلاكِ فيه.. انظري في المِرْآة ..

ام كلثوم : (تنظر في مرآة صغيرةٍ بيدها) حقاً انه لجميلٌ .. البِسيه انتِ الآن ياعاتكةُ .

عاتكة : (تلبس العُقْدَ) كيف ترَيْن ؟

ام كلثوم : صدِّقيني انه لُحلْوٌ عليك !

عاتكة : لكنه عليك أليَقُ وبشبابِك اخلَقُ .. ليت شِعْري ماذا على اميرِ المؤمنين لو مَتَّعَ به عينَيْه على جيدِ امرأتِه ؟

ام كلثوم : صهْ ! . هذا هو قد اقبلَ ! . اخلعِي العقْدَ !.

عاتكة : دَعِيه عليَّ .. دعيني أُواجِهُه ..
(يدخل عمر)

عمر : انتِ هُنا يا ام عياضٍ ؟ ماذا تصنَعين ؟

عاتكة : ازورُ اختي امَّ كلثوم ألا يسرُّك ان أزورَها ؟

عمر : يا هذه انَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ وانما لكل امرىءٍ ما نوى ..

عاتكة : فنيَّتي يا أميرَ المؤمنين سليمةٌ صالحةٌ ..

عمر : وما هذا الذي تحْمِلينَه على جيدِكِ ؟

عاتكة : (ضاحكة) أُعيذُكَ بالله ان تحْسَبَه حبْلاً من مَسَدٍ !
(يقَهْقِهُ عمرُ ضاحكاً وتضحَكُ زوْجتاه معه ثم ينقطِعُ عن الضحك فتنقطعان) .

عمر : يا هذه رُبَّما كان شرّاً على حامِلَتِه من ذاكَ .. أهي الهدَّيةُ يا امَّ كُلثوم ؟

ام كلثوم : (لا تجيب) ..

عمر : أخاله كان لُؤْلُؤاً منثوراً ..

عاتكة : لا تَلُمْها يا اميرَ المؤمنين فانا التي نظَمْته عقداً وهي كارِهَةٌ .

عمر : أفَجِئتِ الى بيتها لتُكْرِهيها على ما لا تُحِبُّ ؟

عاتكة : لا يا أميرَ المؤمنين ولكني لما علِمْت انك ستمنَعُها اياه وتضُمُّه لبَيت مال المسلمين خَشِيتُ ان تضيعَ بعضَ حباتِه ان لم يَنْظَمْ في عِقْد !

عمر : حِرْصاً منك على بيتِ مالِ المسلمين ؟.

عاتكة : نعم !

عمر : ولذلك علَّقتِه على جيدِكِ ؟

عاتكة : ألا تَراهُ جميلاً يا اميرَ المؤمنين ؟ وانه في

جيدِ امِّ كلثوم لأحلى وأجملَ .. (تخلع العِقدَ وتلبسه لام كلثوم) انظر !! ان ملكةَ الروم قد عرفتْ كيفَ تختارُ !!

عمر : حقاً ان كيدَكُن عظيمٌ .

عاتكة : وان ظُلْمَكم لأعظَمُ ..

عمر : ويلكِ أجئتِ الى بيتها لتلقي في رَوْعِها انها مظلُومةٌ وأني انا الذي ظلمْتُها ؟

عاتكة : يا اميرَ المؤمنين أتظنُّها بحاجةٍ الى ذلك وانت تُريدُ ان تنزعَ منها هذا العِقْدَ النفيسَ ؟

عمر : ما أنتِ وذاكَ ؟ ما شانك بما بيني وبين ام كلثوم ؟

عاتكة : انها بمكانِ ابنتي يا ابنَ عمٍّ ، فحقٌ عليَّ ان ارْعاها .

عمر : احذَريها يا امَّ كلثوم فواللهِ ما تريدُ بك خيْراً لو تعقلين ..

عاتكة : ان الذي يأخذُ منك العِقْدَ هو الذي يريدُ بك الخيرَ !!

عمر : عاتكُ ! ما خطبك اليومَ ان الشيطانَ ليُنعِقُ بلسانِكِ ..

(يُسمعُ قرعٌ على البابِ ثم يدخل أسْلَمُ)

اسلم : معذرة يا اميرَ المؤمنين .. عبدُ الله بن عمر بالباب ..

عمر : قلْ له عُدْ بعد العصْر .

(يخرج اسلم ثم يعود في الحال)

عمر : ما خطْبك يا أسلَمُ

اسلم : الحُسَين بن عليٍّ يا اميرَ المؤمنين ..

عمر : ائْذَن له ويْلك .. قل له يدْخلْ .

(يخرج اسلم ثم يعود في الحال)

اسلم : وجدْتُه قد انصرفَ يا امير المؤمنين .

عمر : انطلِقْ وراءَه حتى تجِدَه فتجيءَ به ..

(يخرج اسلم منطلقاً)

عاتكة : الحمدُ لله يا ام كلثوم .. الآن يشْفَعُ لكِ الحسينُ اخوك فلا يقدرُ اميرُ المؤمنين ان يردَّ شفاعتَه .

ام كلثوم : سيظنُّ ظانٌ انني طلبْتُ منه ذلِكَ ..

عاتكة : ولو فعلْتِ لكان ذلكَ من حقّك ..

ام كلثوم : لكنني لم افعلْ ..

عمر : يا عاتكةُ هلْ لك انْ تلحَقي ببَيْتِكِ وتدَعِي ام كلثوم معي في سلامٍ ؟

عاتكة : حباً وكرامةً .. ولكني قبلَ ان اذهبَ اودُّ لو سمعْتَ مني كلمةً ..

عمر : قُوليها ويلك وأسرعي ..

عاتكة : اشدُدْ عليَّ ما شئْتَ يا امير المؤمنين فاني قد ألِفتُ شدَّتَك وغلظَتَك، وانت ابن عَمّي ، وأنا ابنةُ عمك ، ولكن رفقاً بابنةِ رسولِ الله هذه فانها عَروسٌ شابةٌ

فلا تضيِّقْ عليها فيما تصْبُو اليه نفوس الصَّبايا من حِلْيةٍ وزينَة .

عمر : قد وَعَيْتُ نصيحتَكِ فانصَرفي ..

عاتكة : من رَقَبَتي يا امَّ كلثوم الى رقبة الحسَين ابن علي !.

(تخرج)

عمر : (يدنُو من أم كلثوم) ما زِلْتِ واجدَةً يا ام كُلْثوم على بَعْلكِ ؟

ام كلثوم : (لا ..تجيب ..) ؟

عمر : والذي نفْسُ عمرَ بيده ما نَفِسْتُ العِقْدَ على ام كلثوم بل نَفِسْت امَّ كلثوم على العِقْد .. اسمَعي يا ام كلثوم اني قد استَشَرْتُ المسلمين بعد الصَّلاة في امرِ هذا العِقْد فكلُّهم أشاروا بدفعِه اليك ، فهُو لك الا ان تَنْزلي عنه لبيْتِ المال عن طِيبِ خاطرٍ منك فان في نفسي

يا ام كلثوم منه شيئاً ..

(تدخل عاتكة من جديد)

عمر : ويُلكِ ماذا عادَ بك ؟

عاتكة : لِمَ يا ابن الخطاب كتمْتَ عنا النَّبَأَ ؟

عمر : أي نبأٍ ويْلكِ ؟

عاتكة : أنك استشَرْتَ المسلمين بعد الصلاةِ في أمر العِقْد فكلُّهم أشار بدْفعه الى صاحِبَتِه.

عمر : ويحَكِ اني ما كتمْتُه عن ام كلثوم لقد اخبَرْتُها به .

عاتكة : بعد خُروجي ؟

عمر : نَعَم ..

عاتكة : علامَ كتمْتُه عني ؟

عمر : لانكِ لا شانَ لك بذلك .. ارْجِعي من من حيثُ اتيتِ ..

عاتكة : الآن اطمَأنَّتْ نفسي ان العِقْدَ لن يُؤخذ من صاحبته ..

(تخرج)

اسلم : (يظهر على الباب) الحسين بن علي يا أمير المؤمنين .

عمر : اهلاً بالحسين وسهلاً .

الحسين : (يدخل) السلام عليك يا امير المؤمنين ..

عمر : وعليك السلام ورحمةُ الله .. لِمَ يا حسينُ حضرْتَ الى بابي ثُم مَضَيْتَ ؟ هل صرَفَك أسلمُ من قَبل انْ يُخبرني ؟ ويْلٌ له إن فعَلَ !

الحسين : لا يا اميرَ المؤمنين ولكنّي رأيتُ عبد الله ابن عُمرَ لم يُؤذَنْ له عليك فانصرَفتُ .

عمر : وانت عندي مثلَ عبد الله بن عمر ؟ انت عندي مثْلَه ؟ ويْحَك يا ابن رسول الله وهل أنْبَتَ الشَعْر على الرأس غَيْرُكم؟

الحسين : (يصافح اختَه ام كلثوم) مالي أرى الدمْع يحِيرُ في عينيْك بعد ؟

ام كلثوم : (لا تجيب) ...؟

حسين : ما زِلْتَ يا اميرَ المؤمنين على رأيكَ الأول في العِقْد ؟

عمر : نعم ان في نفْسي منه شيئاً وقد رَجَوْتُ اختَكَ ان تنْزل عنه لبيتِ المالِ اذا شاءَتْ ولكنَّها سكَتَتْ ولم تُجِبْ .

حسين : هل لي يا امير المؤمنين ان اكونَ حَكَماً بينكُما ؟

عمر : فماذا عندَك ؟

حسين : تَرْضاني حَكَماً ؟

عمر : في كلِّ شيء يا رَيْحانةَ رسولِ الله الَّا في هذا .

حسين : لِمَ يا أميرَ المؤمنين ؟

عمر : ان رَدَدْتُ حكمَك غضِبت مِني ، وان قبلتُه غضِبَت منْكَ اختُك ، وانا أشفِقُ على نفسي من الأوَّلِ وأشفقُ

عليكُما من الثاني ..

الحسين : أليْسَ لي يا اميرَ المؤمنين ان افاتِحَك في هذا الامر ؟

عمر : بلَى ولكنّي لا اجعَلُك حكَماً فيه .

حسين : ألا يَسَعُك يا أمير المؤمنين ما وَسِع المسلِمين جميعاً اذ استشَرتهم فاشارُوا عليك بدْفع العِقْد لأمّ كلثوم ؟

عمر : يا ابنَ رسول الله انهم لن يُغْنوا عنا غداً من الله شيئاً .. ان الرسولَ رسولُ المسلمين والبريدَ بريدُهم ..

حسين : يا أميرَ المؤمنين ان هذا الرسولَ لم تزِدْ نفقَتُه على المسلمين شيئاً من جَرَّاءِ الهدِيَّة التي حمَلَها معه الى ملكَةِ الرُّومِ ولا الهديَّة التي جاءَ بها لامِّ كلثوم .

عمر : خَبِّرْني هلْ لأحدٍ من المسلمين ان يكلِّفَ هذا الرسولَ بتجارَة يجْلِبُها له

من ارضِ الروم ؟

الحسين : اللهم لا ولكنَّ هذه ليستْ تجارةً .. هذه هديةٌ ..

عمر : ألم تأتِ هذه الهديةُ بربحٍ كربح التجارةِ او اكبرَ ..؟

حسين : حاشا لامِّ كلثوم ان تكونَ قد قصدَتْ ذلك ..

عمر : يا ابنَ رسولِ الله لا تنس اني اميرُ المؤمنين وأنها امرأتي ولا واللهِ لا أكونُ مثلا سيئاً لولاةِ الامورِ بعدي فيُسَخِّرُ احدُهم مصالحَ المسلمين لقضاءِ حاجاته ويقولُ اني ما رَزَأْتُ المسلمين شيئاً فلا جُناحَ عليَّ .

الحسين : ما بالُكِ صامتةً يا ام كلثوم؟ ألا تقولين شيئا ؟

ام كلثوم : ماذا اقولُ يا حسين ؟

عمر : الحمدُ للهِ !

الحسين : علامَ يا امير المؤمنين حَمِدْتَ الله ؟

عمر : على ان تكلمَتْ اختُك .. لقد ظلَّت صامتةً منذُ امسِ .

ام كلثوم : انما كلمْتُ اخي .

عمر : بحَسبي انك كلمْتِه بمحْضري .. ولأْياً بلأْيٍ تَرْضين عن بَعْلك وتكلِّمينَه .

ام كلثوم : هيْهات ..

الحسين : كلَّا يا ام كلثوم لا ينبغي ان تغْضَبي من امير المُؤمنين فانَّه لا يَبْغي لك الا الخيرَ .

ام كلثوم : ما اسرعَ ما مِلْتَ معه يا حُسين !.

الحسين : ها قد مَسَّني غضَبُها يا اميرَ المؤمنين ..

عمر : ألم اقُلْ لك ؟

الحسين : يا امير المؤمنين ألا تَرْفِقُ بها قليلاً فانها لا تحتَمِل العُنْفَ ؟

عمر : أتَراني يا حسين أريدُ ان أُوذيَها مَعاذَ

الله بما فَعَلتْ؟ وانا انما تزوَّجتُها لأمتٍ بسببٍ الى النبي صلى الله عليه وسلم منذُ سمعْتُه يقـــول : كلُّ حَسَب ونسَب منقطعٌ يوم القيامة الّا حَسَبي ونسَبي ولكنه سنَّ لنا هَدْياً فنحن نَسير جُهْدنا عليـــه .. ووَاللهِ لا يحبُّ رسولَ الله من لا يتَّبِـعُ هدْيَه ابداً ..قـــل ان كنْتُم تحبُّون اللهَ فاتَّبعوني يُحْبِبْكـــم اللهُ ويغفِرْ لكم ذنوبَكم واللهغفُورٌ رحيمٌ..

(يدخل اسلَمُ)

اسلم : عليُّ بن ابي طالب يا أمير المؤمنين .

عمر : (يثب الى جهة الباب) مرحباً بابي الحَسَن ادْخلْ يا ابا الحسن . . متى وَصلْتَ من يَنْبُع ؟

علي : الساعةَ يا امير المؤمنين ..

عمر : احسنْتَ اذ اسرَعْت الينا .. جزاكَ اللهُ

خيراً ..

(يتقدم الحسين وام كلثوم فيقبلان يده)

علي : لعلكَ تريدُني يا امير المؤمنين من اجلِ مسألةِ العِقْد ..

عمر : هل علمتَ يا أبا الحسن بقصته ؟

علي : إي والله وبما قضى المسلمون اذ استشَرْتَهم في امره .. اين هـــو العِقْد يا ام كلثوم أرِيني اياه ..

ام كلثوم : (تحضر العِقدَ لأبيها) ها هو ذا يا ابي ..

علي : حِبالةٌ من حَبائِل الشيْطانِ .. هـــذا يا بُنَيَّة لا يَصلُحُ لآل محمدٍ ولا لآل عمرَ انما يصلُح لآل كِسْرى وآل قيْصر .. يا بنيتي ان المسلمين قد طابَت انفُسُهم لك بالعِقْد .. ولكني لم تَطِبْ نفسي بكِ لَه ، وأحسَب زوَجك اميرَ المؤمنين على مثْلِ رأْيي .. انكِ لسْتِ كأحدٍ من

النساء فأنت ابنَةُ فاطمةَ ، وزوجُ عمرَ امير المؤمنين وانَّ خيْراً لكِ ان يُقال ان زوجها ظلَمها من اجلِ المسلمين من ان يُقالَ ان زوجها ظَلَمَ المسلمين من اجلِها والامرُ اليك فانظري ماذا تختارين ؟ اللهَ والدارَ الآخرةَ يا ام كلثوم .. ام العِقْدَ عِقْد ملكةِ الروم ؟

ام كلثوم : بلْ اختارُ اللهَ والدارَ الآخِرةَ يا ابتاه .. خُذْه يا امير المؤمنين لبيْتِ المال .. فان كان له فقد رددْتُه اليه وان كان لي فهُوَ مني صدَقَةٌ ..

علي : بُوركتِ يا بنيتي بوركت ..

عمر : بخٍ بخٍ .. ذُرِّيةٌ بعضُها من بعض ..

علي : هل تأذَنُ لنا يا امير المؤمنين ؟

عمر : لمَ لا تبقَيان عند ام كلثوم ؟

علي : معذرةً يا امير المؤمنين اني قَدِمْتُ من

يَنبعَ عليك ولم أرَ اهلي بعْد .

اسلم : (يدخل) يا امير المؤمنين بالباب جَثامة ابن مساحِق الكِناني ، والرسولُ الذي قدِمَ معه من ملكِ الروم ..

عمر : (لعلي) هلْ لكَ ان تبْقى قليلاً يا أبا الحسن ؟.

علي : اذْهبْ يا حسين الى خالَتك أسْماءَ بنت عُميس فأخبرْها اني قادِمٌ وانتظرني هناك ..

حسين : سمعا يا ابي (يخرج وتنسَحِب ام كلثوم الى الداخل) .

(يدخُل جثامة والرسولُ)

جثامة : السلام عليك يا امير المؤمنين ..

عمر : وعليك السلامُ ورحمة الله .. ماذا عندَكَ يا جَثامةُ ؟

جثامة : هذا أخو رَبيعةَ رسولُ ملكِ الرومِ قد

ضاقَ بالمُقام ويُريدُ ان يعُودَ الى قيصَرَ .

عمر : انك لم تُقِمْ عندنا غيرَ يومين يا اَخا ربيعَةَ ..

الرسول : عَجِّلْ لي يا امير المؤمنين.. حتى لا يظنَّ قيصرُ بي الظُّنونَ ..

عمر : هل لك يا ابا الحسن ان تكتُبَ ما أمْليهِ عليك ؟

علي : حباً وكرامةً ..

عمر : (يقدّم له الدواةَ والقلمَ والقرطاسَ) اكتبْ يا ابا الحسن (عمرُ يُمْلي وعليٌّ يكتُب) من عبدِ اللهِ عمرَ امير المؤمنين الى هِرَقْل ملكِ الروم .. اما بَعْدُ .. فانَّ اللهَ هو السلامُ ، منه السلامُ واليه السلامُ ، وقد عَرَضْتَ علينا الهُدنَةَ والصداقَةَ على ان يكونَ جَبَلُ طوروسَ حدّاً فاصلاً بيننا وبينكَ من جهة الشام،

وتكونَ الفِراضُ وقرقيساء ونصيبين حدّاً فاصلاً بيننا من جهة العراق ، فاعلمْ اننا قدْ قبِلْنا ذلك وحَمِدْناه لك ، ولن ننقُضَه حتى تنقُضُوه انتم فاننا قومٌ لا نغْدِرُ .. وأما ما ذكَرْتَ من امرِ الدين واننا نخَيِّر الناسَ بين الاسلام أو الجزْيَة أو القتالِ ، فاننا لا نَفْعَلُ ذلك الا في حالةِ الحرْبِ .. أما في ظِلّ السلم فانا نأتَمرُ بما أمرَنا به ربُّنا تباركَ وتعالى اذْ قالَ في كتابه العزيز .. ادعُ الى سبيلِ ربِّك بالحِكْمَة والموْعِظَةِ الحَسَنة وجادِلهُم بالتي هي أحسَنُ ان ربَّك هُو اعلَم بمَنْ ضَلَّ عن سَبيلِه وهو اعلَمُ بالمُهْتَدِين .. واذْ قال تعالى : لا إكْراهَ في الدين قَدْ تَبَيَّن الرُشدُ من من الغَيّ .. وقال تعالى : ولا تُجادِلُوا

ضاقَ بالمُقام ويُريدُ ان يعُودَ الى قيصَرَ.

عمر : انك لم تُقِمْ عندنا غيرَ يومين يا اَخا ربيعَةَ ..

الرسول : عَجِّلْ لي يا امير المؤمنين.. حتى لا يظنَّ قيصرُ بي الظُّنونَ ..

عمر : هل لك يا ابا الحسن ان تكتُبَ ما أُمليهِ عليك ؟

علي : حباً وكرامةً ..

عمر : (يقدّم له الدواةَ والقلمَ والقرطاسَ) اكتبْ يا ابا الحسن (عمرُ يُمْلي وعليٌّ يكتُب) من عبدِ اللهِ عمرَ امير المؤمنين الى هِرَقْل ملكِ الروم .. اما بَعْدُ .. فانَّ اللهَ هو السلامُ ، منه السلامُ واليه السلامُ ، وقد عَرَضْتَ علينا الهُدنَةَ والصداقَةَ على ان يكونَ جَبَلُ طُوروسَ حدّاً فاصلاً بيننا وبينَكَ من جهةِ الشام،

وتكونَ الفِراضُ وقرقيساء ونصيبين حدّاً فاصلاً بيننامن جهةالعراقِ ،فاعلمْ اننا قدْ قبِلْنا ذلك وحَمِدْناه لك ، ولن ننقُضَه حتى تنقُضُوه انتم فاننا قومٌ لا نغْدِرُ .. وأما ما ذكَرْتَ من امرِ الدين واننا نخَيِّر الناسَ بين الاسلام أو الجزْيَة أو القتالِ ، فاننا لا نَفْعَلُ ذلك الا في حالةِ الحرْبِ .. أما في ظِلّ السلم فانا نأتَمرُ بما أمرَنا به ربُّنا تباركَ وتعالى اذْ قالَ في كتابه العزيز .. ادعُ الى سبيلِ ربِّك بالحِكْمَة والموْعِظَةِ الحَسَنة وجادِلهُم بالتي هي أحسَنُ ان رَبَّك هُو اعلَم بمَنْ ضَلَّ عن سَبيلِه وهو اعلَمُ بالمُهْتَدين .. واذْ قال تعالى : لا إكْراهَ في الدين قَدْ تَبَيَّن الرُشْدُ من من الغَيّ .. وقال تعالى : ولا تُجادِلُوا أهْلَ الكتابِ الا بالتي هي أحسَنُ الا

الذين ظَلَمُوا منهم وقُولُوا آمَنَّا بما أُنزِلَ الينا وأُنزِلَ اليكم وإلهُنا وإلهُكم واحدٌ ونحنُ له مسلِمون ..

وسألتَني عن كَلمةٍ يجتَمِع فيها العِلمُ كلُّه فهاكَ الجوابُ : أحِبَّ للنَّاس ما تُحِبُّ لنفسِك واكرهْ لهم ما تكرَهُ لها تجتَمِعُ لك الحكمة كلُّها ، واعتَبِرِ الناسَ بما يَليك تجتَمِعْ لك المعرِفة كلُّها.

والسلامُ .

موقع الأديب
على احمد باكثير
www.bakatheer.com

المشهد الرابع

هو كبير في القصر الذي يقيم به خالد بن الوليد بقنسرين ..

يرى خالد وعنده أخته فاطمة بنت الوليد .

فاطمة : وام تميم أينَ هي يا خالدُ؟

خالد : عند الجيران ..

فاطمة : عند خولةَ بنتِ الأزْوَر ؟

خالد : بل قولي عند آل رومانوس .

فاطمة : ما كنَّا نظنُّ ان هذا الروميَّ سيكون لها نعْمَ الزوجُ .. بلَغَني انه يساعِدُها في